مواقف العلماء من تطورات الأوضاع السياسية في عُمان في فترة الإمامة الإباضية الثانية بعُمان
أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي أنموذجًا

محمد بن حمد الشعيلي [1*]

الاستـلام: 10/ 12 /2025
التحكيم: 3/29 /2026
القبـــول: 30/ 3 /2026

© 2026 University of Science and Technology, Aden, Yemen. This article can be distributed under the terms of the Creative Commons Attribution License, which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original author and source are credited.

© 2026 جامعة العلوم والتكنولوجيا، المركز الرئيس عدن، اليمن. يمكن إعادة استخدام المادة المنشورة حسب رخصة مؤسسة المشاع الإبداعي شريطة الاستشهاد بالمؤلف والمجلة.

[1] قسم وحدة الدراسات العامة، كلية التربية، الجامعة العربية المفتوحة بمسقط- سلطنة عُمان.

* عنوان المراسلة: mohammed@aou.edu.om

مواقف العلماء من تطورات الأوضاع السياسية في عُمان في فترة الإمامة الإباضية الثانية بعُمان
أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي أنموذجًا

الملخص:

تعدُّ دولة الإمامة الإباضية الثانية في عُمان (177–280هـ/793–893م) من أبرز المراحل في التاريخ العُماني، إذ شهدت بروز شخصيات علمية ودينية كان لها دورٌ مؤثرٌ في الحياة السياسية والاجتماعية، خاصةً في اختيار الأئمة ومراقبة أدائهم وحتى عزلهم عند الضرورة. ويبرز من بين هؤلاء العلماء الصلت بن خميس الخروصي، المعروف بـ (أبي المؤثر)، الذي يُعدُّ من أهم الرموز العلمية في تلك الفترة، لما عُرف عنه من مواقف واضحة تجاه الأحداث السياسية في عهود الأئمة الذين عاصرهم، وسعيه للحفاظ على وحدة الإمامة وقوتها.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل مواقف العلماء وآرائهم في تلك المرحلة، عن طريق التركيز على شخصية أبي المؤثر، وبيان كيف تجاوز دور العلماء الجانب الديني ليصبحوا ركنًا أساسيًا في النظامين السياسي والاجتماعي، حيث أسهموا في صنع القرار وتوجيه السياسات.

وتظهر النتائج أنَّ الإمامة الإباضية الثانية شكَّلت مرحلةً محوريةً في تاريخ عُمان، وأنَّ العلماء كانوا القوة المحركة للأحداث، إمَّا بتسريعها أو تهدئتها، مع تغليب المصلحة العامة، وهو ما تجلَّى بوضوح في مواقف أبي المؤثر الخروصي.

الكلمات المفتاحية: **عُمان، العلماء، الإمامة الإباضية الثانية، أبو المؤثر.**

https://doi.org/10.20428/jss.v31i3.3498

المقدمة

تعدُّ دولة الإمامة الإباضية الثانية في عُمان (177- 280هـ/ 793- 893م) من المراحل المهمة في تاريخ عُمان بصفةٍ عامة، نظير الأحداث المختلفة التي شهدتها عُمان في تلك المدة، والتي تراوحت بين الإنجازات تارةً، وبين الإخفاقات تارةً أخرى، سواءً على الصعيد الداخلي، أو حتى على مستوى التدخلات الخارجية، وهي المدة التي يمكن القول إنَّها شهدت تشكُّل سلطة العلماء وتأثيرهم في بروز الكيان السياسي في عُمان بمؤسساته المتعددة، فكان من الملاحظ ظهور كثير من القيادات السياسية والدينية والعلمية في عُمان، الذين تفاوتت إسهاماتهم وتأثيراتهم في مجريات الأحداث في عُمان على مختلف الأصعدة، سواءً في مدد القوة أو مدد الضعف، وفي أثناءالوحدة أو الانقسام، وفي السلم والحرب.

ويُعدُّ أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي من كبار علماء الإباضية عبر تاريخها ومن أبرزهم، فبالإضافة إلى مكانته العلمية المشهودة، فقد عُرف أيضًا بمواقفه السياسية الواضحة، وبأدواره المهمة والكبيرة في عصر دولة الإمامة الإباضية الثانية في عُمان، وبسعيه الدؤوب نحو ترسيخ مبادئها والحفاظ على قوتها ووحدتها، شأنه شأن كثير من العلماء في تلك المرحلة.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تحقيق الغايات الآتية:

1- تتبُّع مجموعةٍ من أبرز الأحداث السياسية المؤثرة في عُمان في عصر الإمامة الإباضية الثانية، ومواقف العلماء والقيادات الدينية والقبلية من تطوراتها.

2- توضيح الدور الذي مارسه أبو المؤثر الخروصي الذي عايش العديد من الأحداث التي شهدتها الإمامة الثانية، ومواقفه في العديد منها.

3- الربط بين سير الوقائع التي شهدتها عُمان إثر حادثة عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي، ونهاية دولة الإمامة الثانية.

أهمية الدراسة

تتجلَّى أهمية الدراسة في تقديم عملٍ بحثي يجمع بين استعراض واقع عُمان السياسي في عصر الإمامة الثانية، وربطه بمواقف لشخصيةٍ علميةٍ وفكريةٍ مؤثرةٍ تجاه بعض الأوضاع التي عاشتها عُمان في تلك المدة، والمتمثلة في شخصية أبي المؤثر الخروصي، الذي عاصر- عن قرب- عددًا من أئمة تلك الإمامة،

وعايش كثيرًا من الأحداث والتطورات المهمة في مدد حكمهم، وبالتالي، سد الثغرات المعرفية المرتبطة بالموضوع.

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس الآتي:

ما مواقف أبي المؤثر الصلت بن خميس الخروصي من الأحداث السياسية التي شهدتها عُمان في عصر دولة الإمامة الإباضية الثانية، منذ بداية حكم الإمام المهنا بن جيفر في عام 226هـ/ 841م، وحتى نهاية حكم الإمام عزان بن تميم في سنة 280هـ/ 893م؟

ويتفرع عن هذا السؤال مجموعة من الأسئلة الفرعية، تتمثل في الآتي:

1- ما انعكاسات الأحداث والتطورات التي شهدتها عُمان في عصر الإمامة الإباضية الثانية في عُمان على الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية فيها؟
2- ما طبيعة أدوار العلماء ومواقفهم تجاه الأحداث السياسية في عصر دولة الإمامة الثانية في عُمان؟
3- كيف أثَّرت قضية عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي على مستقبل دولة الإمامة الثانية في عُمان؟

فرضيات الدراسة

وضع الباحث فرضيات عديدةً للإجابة عن أسئلة الدراسة، أهمها:

1- شهدت عُمان في عصر دولة الإمامة الإباضية الثانية العديد من الأحداث، على الصعيد الداخلي، وعلى مستوى التدخلات الخارجية أثَّرت على وحدتها وتماسكها وتطورها الحضاري.
2- مارس العلماء في عصر دولة الإمامة الثانية في عُمان كثيرًا من الأدوار والصلاحيات التي كان لها تأثيرٌ واضحٌ في مجريات الأحداث وفي تطورات الأوضاع المختلفة، ومن أبرزهم أبو المؤثر الخروصي.
3- أثَّرت قضية عزل الإمام الصلت بن مالك على الأوضاع السياسية في عُمان ومهَّدت لسقوط دولة الإمامة الثانية في عُمان.

منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التاريخي عن طريق دراسة أبرز الأحداث والمواقف السياسية التي وقعت في عُمان في عصر الإمامة الثانية، وربطها بالتطورات الزمنية، وتبيان أسبابها وتأثيراتها، وفهم مواقف أبي المؤثر المُعلنة منها.

https://doi.org/10.20428/jss.v31i3.3498

حدود الدراسة

الحدود الموضوعية: مواقف أبي المؤثر من تطورات الأوضاع السياسية في عُمان في مُدد حكم من عاصر من أئمة دولة الإمامة الإباضية الثانية بعُمان.

الحدود الزمنية: مدة دولة الإمامة الإباضية الثانية في عُمان الممتدة من عام 177هـ/ 793م، وحتى نهايتها في سنة 280هـ/ 893م.

الحدود المكانية: مناطق ومدن شمال عُمان، وأبرزها نزوى، وبهلاء، وإزكي، والرستاق، وصحار، والظاهرة التي شهدت أهم الأحداث المرتبطة بالدراسة.

مصادر الدراسة

اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر والمراجع الموثوقة التي تناولت تاريخ عُمان في المدة التي تضمنتها الدراسة، منها تلك التي ترتبط بالمعاصرين لأحداثها وخاصةً أبا المؤثر نفسه، اعتماداً على ما جاء في كتابه المهم (الأحداث والصفات)، وكذلك سيرة أبي قحطان خالد بن قحطان، وما جاء به المؤرخون العُمانيون التقليديون، مثل العوتبي، والإزكوي، وابن رزيق، والسالمي، زيادةً على العديد من المراجع العُمانية والعربية والغربية المترجمة، التي تناولت أحداث الإمامة الإباضية الثانية، التي يمكن عبرها استيضاح ارتباط أبي المؤثر بها، وهي مصادر ومراجع موثوقة يرى الباحث بأنَّها تكاد تكون متفقةً في المعلومات والحقائق التاريخية والأحداث التي شهدتها تلك المدة، وعليه، فإنَّ التنوع في الاستعانة بها يهدف أيضًا إلى تحقيق التوازن بين وجهات النظر المختلفة.

الدراسات السابقة

لا تتوفر كثير من الدراسات العلمية المستقلة، التي عُنيت بإبراز مواقف شخصياتٍ عُمانيةٍ بعينها من بعض الأحداث التي عاشتها عُمان في مدة الإمامة الثانية بعُمان، وهو ما يؤكد خصوصية هذه الدراسة، ولكن في المقابل، وجدت دراساتٌ تناولت عموماً أوضاع عُمان في تلك المدة، ومواقف القيادات السياسية والدينية والقبلية منها، والتي استفادت منها هذه الدراسة، ومن أبرزها:

1- **فوزي، فاروق (2008م)، الموجز في تاريخ عُمان السياسي في القرون الإسلامية الأولى 1ه- 906هـ/ 622-1500م.**

تطرَّقت هذه الدراسة إلى جوانب كثيرةٍ في مدة الإمامة الثانية في عُمان منذ تأسيسها، وأهم الأحداث التي صاحبت مدة حكم أئمتها، وحتى سقوطها سنة 280هـ/ 893م.

2- **إمبوسعيدي، عبد الله (1995م)، "عُمان في عصر الإمامة الإباضية الثانية (177- 280هـ/ 793- 893م)"، رسالة ماجستير غير منشورة.**

تعدُّ هذه الدراسة من أبرز الدراسات العلمية التي سلَّطت الضوء على التاريخ السياسي والحضاري لعُمان في مدة الإمامة الثانية، وأبرز الأحداث التي وقعت فيها، وعلاقاتها الخارجية خاصةً مع الدولة العباسية.

3- الريامي، علي (2015م)، قضية عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي.

تصنَّف هذه الدراسة من أهم الدراسات الأكاديمية التي ركَّزت على قضية عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي، والنتائج السياسية والفكرية التي ترتَّبت على هذه الحادثة الشهيرة في تاريخ عُمان.

تقسيمات الدراسة

قسمَّت الدراسة إلى عناصر عديدة، حيث اشتملت المقدمة على نبذةٍ عن الدراسة وأهمية موضوعها، والمصادر التي اعتمد عليها في سبيل إنجازها، والمناهج العلمية المستخدمة فيها، وغيرها من التفاصيل الخاصة بهيكلة الدراسة. وفي التمهيد، جرى تسليط الضوء على الأوضاع السياسية في عُمان في القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين وتأثيراتها المختلفة على الصعيدين المحلي والإقليمي. وتطرق المبحث الأول في الدراسة إلى العوامل التي أسهمت في تشكيل شخصية أبي المؤثر. بينما تضمن المبحث الثاني المواقف المختلفة لأبي المؤثر في مُدد حكم بعض أئمة الإمامة الإباضية الثانية.

بينما حوت الخاتمة أهم الاستنتاجات التي توصَّلت إليها الدراسة، ومن أبرزها أنَّ مدة الإمامة الثانية في عُمان من أهم المُدد تأثيرًا في مسيرة التاريخ العُماني، وبأنَّ مواقف العلماء في تلك المدة كان لها تأثيرٌ بالغ في مجريات الأحداث التي شهدتها عُمان فيها، وبأنَّ أبا المؤثر كان من أبرز العلماء الذين كان لهم مواقف مهمة في تطورات الأحداث في المدة المنشودة.

كما تضمَّنت الدراسة ملاحق ذات صلةٍ بموضوع الدراسة، بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في إنجاز الدراسة.

تمهيد: أوضاع عُمان السياسية في القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين

ارتبط تاريخ عُمان منذ النصف الثاني من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي بنشأة الحركة الإباضية في البصرة بالعراق (خليفات، 2020م، ص 9- 10) التي مرَّت بالعديد من التحولات والتقلبات، السرِّية منها والعلنية، والتي أثمرت في النهاية قيام دولة الإمامة الإباضية الأولى في عُمان عام 132هـ/ 749م بانتخاب الجلندى بن مسعود بن جيفر - سليل آل الجلندى حكام عُمان ما قبل الإسلام وفي صدره - إماماً على عُمان، حيث وقع الاختيار عليه وفق نظام الإمامة الإباضية الذي يستند إلى مبدأ الشورى في إدارة شؤون الدولة والمجتمع، ويقوم على الانتخاب الحرِّ للإمام الذي لا يشترط أن يكون منتمياً إلى جماعة العلماء، ولكن يجب أن يتحلَّى وفق الدستور الإباضي بصفات النزاهة، والاستقامة، والالتزام بالأخلاق والتحلي بالفضائل كشروط لعقد البيعة له (غباش، 2017م، ص 22).

وفي المقابل، تمتَّع العلماء في عُمان، خاصةً فيما عُرف بأهل الحل والعقد، بالمزيد من الصلاحيات، ومارسوا ضغوطًا باعتبارهم مؤسسةً سياسيةً تسعى لأن تكون المسيطرة على الأوضاع، والممسكة بزمام أمور الدولة

https://doi.org/10.20428/jss.v31i3.3498

(السالمي، 2002م، 33)، وأصبحوا يشكّلون السلطة التشريعية العليا، التي من مهامها مراقبة أداء القادة والزعماء السياسيين وسلوكياتهم بالإضافة إلى الجمهور (إمبوسعيدي، 1995م، ص 315)، وهو ما سيفسر لاحقًا تدخُّل العلماء في حال خروج أي إمامٍ عن ذلك، وقيامه بأعمالٍ لا تتوافق مع تلك الشروط، وفق ما سيحدث من تطورات في هذا الجانب، وستشكّل الولاية والبراءة جزءًا من التنظيم السياسي المؤثر للإمامة، بحكم أنَّ الولاية- مثل ما هو مُتعارف عليه- تتضمن الطاعة للإمام شريطة عدم إخلاله بمسؤولياته، بينما تقع البراءة منه في حالة أخلَّ بمسؤولياته.

اعتبر اختيار الإمام الجلندى نقطة تحوُّلٍ مهمةٍ في تاريخ عُمان، حيث تمكن من إظهار قدراته وكفاءته في القضاء على التحديات الداخلية، وفي تعزيز وحدة البلاد وحماية الفكر الإباضي (مايلز، 2016م، ص 66)، ولكن إمامته لم تستمر طويلاً، إذ سقطت بعد ذلك بسنتين، وتحديدًا في سنة 134هـ/ 752م، على يد القوات العباسية بقيادة خازم بن خزيمة التميمي في معركة (جلفار الثانية)، في إطار رغبة الدولة العباسية في التوسع ومدِّ النفوذ، والقضاء على أي تهديداتٍ لمصالحها السياسية، والاستفادة من موقع عُمان المميز، وإمكانياتها الجغرافية في طرق التجارة البحرية لخدمة مصالحها الاقتصادية (العقيلي، 1984م، ص 19؛ إمبوسعيدي، 1995م، ص 94)، لتسقط عُمان في تلك السنة تحت النفوذ العباسي للمرة الأولى في تاريخها، وليكون هذا هو الغزو الخامس الذي تتعرَّض له عُمان منذ دخولها الإسلام (مايلز، 2016م، ص 66)، وهو ما يؤكد حرص القوى الإقليمية على السيطرة عليها وفق دوافع مختلفة، وفي المقابل، تظهر تكرار مثل هذه الحملات الرغبة المستميتة لدى العُمانيين في حماية بلادهم، وصون استقلالهم في كل وقتٍ وحين.

انتقلت عُمان بعد ذلك إلى مرحلةٍ جديدةٍ شهدت كثيرًا من الانقسامات والتحديات الداخلية نتيجة تباين المواقف السياسية والاختلافات الفكرية بين قياداتها، فبعد مقتل الإمام الجلندى بن مسعود انتقل أمرها إلى فرعٍ آخر من آل الجلندى، يمثله محمد بن زائدة وراشد بن النظر، اللذين دانا بالولاء للخلافة العباسية (فوزي، 2008م، ص 79)، ليصبح بذلك المشهد في عُمان منقسمًا بين علماء وقيادات موالية للحركة الإباضية، وبين أخرى تدين بالولاء للخلافة العباسية، واستمر هذا الوضع بتأثيراته المختلفة أكثر من أربعين سنة حتى سنة 177هـ/ 793م، عندما أعلن عن قيام دولة الإمامة الإباضية الثانية بانتخاب محمد بن عبدالله بن أبي عفان اليحمدي إمامًا، بعد جهود قادها العلماء، أبرزهم العالم الفقيه موسى بن أبي جابر الأزكوي المنتمي إلى بني سامة في عُمان، والذي يمكن اعتباره مؤسس دولة الإمامة الإباضية الثانية في عُمان، استنادًا إلى مكانته العلمية وزعامته القبلية (ولكنسون، 2010م، ص 292)، حيث لم يكن العلماء راضين عن سيرة أبناء الجلندى الموالين للدولة العباسية، وصل إلى حدٍّ وصفهم بالجبابرة والبغاة (أبو قحطان،

1986م، ص 121)، فقادوا حركةً جديدةً بهدف إسقاط حكمهم، وهو ما تحقق في النهاية في معركة (المجازة) بأراضي الظاهرة من عُمان في تلك السنة، والتي أسفرت عن انهزام راشد بن النظر وأتباعه وخروجهم من مقر الحكم في نزوى (السالمي، 1997م، ص 107)، مما يعني زوال سلطة العباسيين وحلفائهم من آل الجلندى في عُمان (العقيلي، 1984م، ص 28؛ إمبوسعيدي، 1995م، ص 112).

لم تسِر الأمور في إمامة محمد بن أبي عفان على النحو الذي كان متوقعًا بأن يحفظ لعُمان استقرارها الكلي، ففقد ثقة علماء الإباضية وفقهائها نتيجة بعض الممارسات التي قام بها، والتي أدخلته في صراعاتٍ قبليةٍ عديدة، حاول التغلب عليها - حسب وجهة نظر العلماء والفقهاء- باتخاذ إجراءاتٍ تعسفية، أدَّت في النهاية إلى خلعه من منصبه سنة 179هـ/ 795م، وانتخاب الوارث بن كعب الخروصي إمامًا ليحل محله (أبو قحطان، 1986م، ص 122؛ فوزي، 2008م، ص 83)، وليصبح قيام العلماء بخلع إمامٍ وتنصيب آخر محله بمثابة تقليد، أكدته- لاحقًا- نماذج كثيرة في تاريخ عُمان، إلى حدٍّ شهد وجود أئمةٍ تداخلت مُدد إمامة بعضهم مع بعض (غباش، 1997م، ص 72- 77)، وهو ما يعكس طبيعة الأوضاع الصعبة التي كانت تعيشها البلاد.

انتقلت عُمان في عهد الوارث بن كعب إلى مرحلةٍ جديدةٍ مغايرة، شهدت حالةً من القوة والوحدة والاستقرار الداخلي فيها (أبو قحطان، 1986م، ص 122؛ السيابي، ج 2، 1384هـ، ص 28 وص 33)، الأمر الذي ساعد على تحقيق كثيرٍ من الإنجازات في عصر دولة الإمامة الإباضية الثانية، ونجح أئمتها اللاحقون في التصدي لبعض الحملات الخارجية، ومواجهة الاضطرابات الداخلية التي كانت تثور بين الحين والآخر.

ولكنَّ وحدة عُمان الداخلية تصدَّعت – للأسف- من جديد بعد الانقسامات الفكرية التي عصفت بها بين زعاماتها السياسية والدينية والعلمية المختلفة، والتي أدَّت في النهاية إلى واحدةٍ من أكثر أحداثها جدلًا وتأثيرًا في تاريخها الإسلامي، والمتمثلة بحادثة عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي من منصب الإمامة في سنة 272هـ/ 885م، والتي شكَّلت منعطفًا خطيرًا في تاريخ عُمان السياسي – مثلما سنرى ذلك لاحقًا - حتى يمكن القول إنَّها كانت بداية النهاية للإمامة الثانية في عُمان، نتيجة الخلافات الكبيرة التي وقعت بين العلماء والفقهاء، بحكم أنَّ عصيان الإمام العادل في الفكر الإباضي يُعدُّ من المنكرات الكبيرة، التي يترتب عليها مقاومة من قام بذلك، وإجباره على الرجوع إلى الحق، ولذلك، فلا عجب قيام كثير من العلماء بإنكار هذه الحادثة بشدة (فوزي، 2008م، ص 71).

https://doi.org/10.20428/jss.v31i3.3498

وبالتالي، ألقت الصراعات الفكرية والانقسامات القبلية التي ترتبت عليها، خاصةً بين ما يعرف باليمانية (القحطانية) والنزارية (العدنانية)، بظلالها المباشر على تفاقم الأوضاع في عُمان بنحوٍ متسارعٍ ولافتٍ للنظر، والذي ستستمر تبعاته لتصل إلى حدِّ الاستعانة بالقوى الخارجية لتغليب كفة قوةٍ على أخرى، عندما عمد النزارية إلى الاستعانة بالخلافة العباسية، حيث أذن الخليفة المعتضد (242- 289هـ/ 856- 902م) لواليه على البحرين محمد بن نور بالتدخل العسكري المباشر في عُمان، واستغلال الخصومات القبلية فيها، لينجح هذا التدخل في إسقاط الإمامة الثانية بمقتل الإمام عزان بن تميم الخروصي سنة 280ه/ 893م، ولتعود عُمان بذلك مرةً أخرى إلى سلطة الدولة العباسية، وتضطرب الأوضاع فيها، وتصبح تحت تأثيرات الخلافات الداخلية والانقسامات القبلية.

من هذا المنطلق، بات جلياً استعراض هذه التطورات المتعلقة بأوضاع عُمان في القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين، وتأثير مواقف القيادات الدينية والعلمية في عُمان على سير الأحداث فيها، وبأنَّ آراءها وتدخلاتها كانت تؤدي- في كل مرةٍ- إلى فرض واقعٍ جديدٍ في عُمان سواءً أكان ذلك سلبياً أم ايجابياً، وهو ما سنسعى للتعرُّف عليه بنحوٍ أكبر عبر استعراض جوانب من سيرة أبي المؤثر الصلت بن خميس الخروصي، ومواقفه من أهم الأحداث التي حفلت بها الإمامة الإباضية الثانية في عُمان.

المبحث الأول: العوامل المؤثرة على شخصية أبي المؤثر الخروصي

لم تشر المصادر والمراجع إلى اسم أبي المؤثر ونسبه كاملاً، مع أنَّه من أجلِّ علماء عُمان وفقهائها في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، زيادةً على أنَّه لا يوجد تحديدٌ دقيقٌ حول ولادته، ولكن يرجَّح بأنَّه في مطلع ذلك القرن، استدلالاً بالدور الذي قام به أبو المؤثر في أواخر عهد الإمام المهنا بن جيفر – مثلما سنأتي على ذلك.

وينطبق الأمر كذلك بالنسبة على تحديد سنة وفاته، التي وُجد فيها خلاف أيضًا، وهي من الأمور التي أصبحت معتادةً في كتابة سير كثيرٍ من الأعلام والشخصيات العُمانية، كون أنَّ الاهتمام بتدوين السير الشخصية لم يظهر مبكراً في عُمان، وكون أنَّ التركيز كان على أعمال هذه الشخصيات أكثر من تتبع نشأتها، والتفاصيل الشخصية لحياتها (البوسعيدي، 2020م، ص 36).

ووجدت عوامل عديدة نرى بأنَّها أسهمت في تشكيل شخصية أبي المؤثر، من أبرزها:

أولاً: الانتماء القبلي

ينتمي أبو المؤثر الصلت بن خميس إلى بني خروص، القبيلة التي يتصل نسبها بخروص بن شاري بن اليحمد، والتي تصنف بأنَّها من القبائل العُمانية العريقة، وخرج منها كثير من الشخصيات التي كان لها حضورٌ مميزٌ في تاريخ عُمان، من حكامٍ وعلماءَ وقياداتٍ مختلفة أخرى (السيابي، 1384هـ، ص 112- 113).

الأمر الذي يؤكد مكانة هذه القبيلة وتأثيراتها السياسية والعلمية والدينية في التاريخ العُماني، وبالتالي، نرى بأنَّ انتماء أبي المؤثر لبني خروص من العوامل التي شكَّلت شخصيته، وأسهمت في تبلور مكانته العلمية

والاجتماعية، وفي تأديته دورًا محوريًا في توجيه المجتمع نحو ما يكفل له استقراره ووحدته، واستشعاره بحجم المسؤولية بنحوٍ أكبر، دون الانزلاق نحو التعصب القبلي في مواقفه وآرائه المختلفة على حساب المصلحة الوطنية، كون انتماء العديد من أئمة الإمامة الثانية إلى هذه القبيلة.

ثانيًا: الانتماء الجغرافي

ولد أبو المؤثر في مدينة بهلا في داخل عُمان، والتي تعدُّ من أهم المدن التاريخية والعلمية العُمانية ومن أقدمها، حيث يُعدُّ من أشهر علماء هذه المدينة التي درس فيها العلوم المختلفة؛ حتى أصبح يعرف بالبهلوي، وانتقل من بهلا إلى نزوى المدينة المجاورة لها، وذلك لأهمية نزوى في تلك المدة من الناحيتين السياسية والعلمية، والتي تمثلت في كونها مقر حكم الإمامة الإباضية الثانية، وباعتبارها مركزًا علميًا مشهورًا، كان يستقطب العديد من العلماء في مختلف المجالات، وصل إلى حدٍّ وصفها بـ (بيضة الإسلام)، والتي كان لاختيارها تأثيرٌ جغرافي وسياسي مهم، للمحافظة على أمن عاصمة الإمامة وعلى إبقاء الاتصال بين الساحل والداخل في عُمان (السالمي، 2002م، ص 32) ، حيث يمكن اعتبار نزوى حلقة الوصل بين الأقاليم الواقعة على أطراف الجبال، والمتمثلة في إقليم الجوف في نزوى، والسر في الظاهرة، وتوام في البريمي، والغدف في الرستاق (ولكنسون، 2010م، ص 23)، وهو ما يؤكد أهمية اختيارها مقرًا للحكم في عُمان في تلك المدة، بل حتى وما بعدها، ولتصبح المدينة المؤثرة أيضًا في سيرة أبي المؤثر، التي عاش فيها ودفن فيها أيضًا، والمدينة الرئيسة في محور الحديث عما شهدته عُمان من وقائع وأحداث في المدة المحددة. وبالتالي، فإنَّ انتماء أبي المؤثر إلى مدينتين تعدَّان ركيزتين أساسيتين في تاريخ عُمان، من العوامل المهمة التي أسهمت أيضًا في تشكُّل شخصيته.

ثالثًا: النهضة العلمية

أخذت عُمان منذ بدايات القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي تشهد تطور الحركة العملية فيها، والتي كان من أسبابها عودة العديد من العُمانيين من مدينة البصرة التي شكَّلت إحدى حواضر العلم في العالم الإسلامي (المنذري، 2018م، ص 361)، واستمر الحال كذلك في عصر دولة الإمامة الثانية، حيث انعكس استقرار الأوضاع السياسية والرخاء الاقتصادي في أن تشهد عُمان نهضةً عمليةً وفكريةً وُصفت بالكبيرة، خاصةً في عهد الأئمة الوارث بن كعب، وغسان بن عبد الله، وعبد الملك بن حميد، والصلت بن مالك، وفي ظهور مراكز علميةٍ مزدهرةٍ في عُمان، وخلق بيئةٍ مناسبةٍ لظهور كثيرٍ من العلماء في مجالاتٍ مختلفة، ومنهم بالطبع أبو المؤثر الخروصي.

رابعًا: التكوين العلمي

وبناءً على ما سبق، فقد تتلمذ أبو المؤثر على يد العديد من العلماء في عُمان، أبرزهم محمد بن محبوب الرحيلي، ونبهان بن عثمان والوضاح بن عقبة ومحمد بن خالد، وغيرهم (السعدي، 2007م، ص 199)، الذين

https://doi.org/10.20428/jss.v31i3.3498

كانوا من أبرز علماء عُمان وفقهائها في تلك المدة، والذين حرص أبو المؤثر على الاستفادة منهم، وهو ما عُد أيضًا من العوامل التي أسهمت في تكوين شخصيته.

وقد شهدت الآثار بسعة علم أبي المؤثر وكثرة فتاويه، حيث ترك العديد من الآثار العلمية، تتمثَّل أهمها في: الأحداث والصفات، والبيان والبرهان، والوصايا، وقصيدة في التوحيد، والولاية والبراءة، وسيرة أبي جابر محمد بن جعفر الإزكوي.

خامسًا: الإعاقة الجسدية

مع أنَّ أبا المؤثر كان أعمى البصر (الكدمي، 1985م، ص 220)، إلا أنَّ ذلك لم يكن عائقًا أمامه في تحصيل العلم أو في تلقينه، وفي إدراكه للأحداث، وفي استيعابه للأمور المحيطة به، بل كانت دافعًا له نحو إثبات نفسه، والسعي نحو ترك بصمةٍ مميزةٍ في كينونة المجتمع العُماني في المدة التي عاشها، وهذا شأن كثيرٍ من علماء عُمان الذين تشابهت ظروفهم مع ظروف أبي المؤثر، ولكنهم استمروا في عطاءاتهم وفي تضحياتهم العلمية، حيث يحفل تاريخ عُمان بكثيرٍ من النماذج في ذلك حتى وقتنا الحاضر، من علماء ومفكرين ومصلحين لم تقف إعاقتهم الجسدية حائلًا دون عطائهم، وفي ترك بصماتٍ خالدةٍ في مختلف المجالات.

سادسًا: الابتعاد عن الشك والوسوسة

نشأ أبو المؤثر على الجد والاجتهاد، وعُرف عنه بأنَّه كان ورعًا تقيًّا بعيدًا عن الغش، لا تأخذه في الله لومة لائم، حريصًا على قول الحق على رؤوس الخلائق، شديدًا على الباطل، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكان من مذهبه الابتعاد عن الشك والوسوسة (السعدي،2007م، ص 199)، وهو ما يفسر تعبيره عن رأيه بكل صراحةٍ وعلانيةٍ تجاه الأحداث التي عايشها، واتخاذه مواقف اتسمت بالقوة والجرأة إزاء العديد منها.

المبحث الثاني: مواقف أبي المؤثر في عصر الإمامة الإباضية الثانية في عُمان

أولاً: عهد الإمام المهنا بن جيفر (226– 237هـ/ 840- 851م):

بويع الإمام المهنا بالإمامة بعد وفاة الإمام عبد الملك بن حميد العلوي (207- 226هـ/ 823- 841م) يوم الجمعة الثالث من رجب عام 226هـ/27 أبريل 841م (الإزكوي، ج 3، 2013م، ص 123)، وتمت له البيعة بواسطة موسى بن علي الإزكوي (السالمي، ج 1، 1997م، ص 148)، واستمرت إمامته حتى وفاته في السادس عشر من ربيع الآخر سنة 237هـ/ 16 أكتوبر 851م (الإزكوي، ج 3، 2013م، ص 126)، وقد عُرف بالعدل، وحقَّقت عُمان في عهده المجد والازدهار، وقام بتنظيم الجيش حتى أصبحت عُمان في عهده قوةً عسكريةً كبيرة، واتسم أسلوبه بالقسوة وبالشدة مع البغاة وأهل الفساد.

بدأ اسم أبي المؤثر في الظهور في أواخر حكم الإمام المهنا، (وهذا ما يفسر ذكر شأن ولادته في المقدمة، والذي يرجح من خلاله أنَّ أبا المؤثر وُلد في بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي)، وذلك عندما حاول بعض كبار العلماء وفي مقدمتهم شيخه محمد بن محبوب والبشير بن المنذر البراءة من الإمام المهنا نتيجة بعض الأحداث التي وقعت من قبله، مثل سفك الدماء وزحمة السجون، والتي رأوا بأنَّها كفيلة بإعلان البراءة منه، وقاموا بإعداد رسالة وتجهيزها لتلاوتها على الرعية، غير أنَّ أبا المؤثر نجح في إقناع شيخه بالعدول عن هذا القرار، لأنَّه رأى بأنه سوف يترتب عليه تفرُّق الأمة (السالمي، ج 1، 1997م، ص 156- 159).

وليصبح تدخل أبي المؤثر بالنصح بالعدل ورفع الإعلان بالبراءة من الإمام، وانفراده بهذا الأمر من بين العلماء، يمثل أهم الأدوار التي مارسها في عهد الإمام المهنا بن جيفر، وهو بالطبع دورٌ كبيرٌ يُحسب له كونه حافظ على وحدة الدولة واستمرارها، خاصة وأنَّه جاء أمام من تتلمذ على يديه، والمقدم عليه، محمد بن محبوب، زيادةً على أنَّه يُظهر حجم المسؤولية التي يفترض أن يقوم بها العلماء بعيداً عن المجاملة في مثل هذه المواقف الصعبة من أجل تقريب وجهات النظر وعدم الإخلال بالوحدة الوطنية وتماسكها.

ثانيًا: عهد الإمام الصلت بن مالك الخروصي (237– 272هـ/ 851-885م):

بويع الصلت بن مالك بالإمامة، في اليوم الذي مات فيه سلفه المهنا بن جيفر، وذلك في ربيع الآخر عام 237هـ/ أكتوبر 851م (ابن رزيق، 2016م، ص 69؛ السالمي، ج 1، 1997م، ص 160)، واستمرت إمامته حتى 272ه/885م، بما مجموعه خمسة وثلاثون عاماً، وليكون بذلك من أكثر الأئمة في تاريخ عُمان من حيث عدد سنوات الحكم (أبو قحطان، 1986م، ص 124)، عاصر عبرها ستة من الخلفاء العباسيين في بغداد (مايلز، 2016م، ص 74)[1]. وقد اتصف عهده بالرخاء وبالاستقرار وباتساع نفوذ عُمان وحدودها الجغرافية.

ولمكانته العلمية وثقة المحيطين به، فقد كان أبو المؤثر من العلماء الذين يفترض بهم حضور بيعة الإمام الصلت برفقة العديد من العلماء من أهل الحِلِّ والعقد، ومن أبرزهم محمد بن محبوب، وبشير بن المنذر (الخروصي، 1996م، ص 3-4)، غير أنَّه وقع دمٌ على ثوبه فخرج لغسله، فلما عاد وجد أنَّ الناس قد بايعوا الصلت بن مالك، حيث يقول: "كنا في المشورة لما مات المهنا، فوقع في ثوبي دم، فذهبت أغسله، فرجعت وقد بايعوا الصلت، فقال لي أبو عبدالله محمد بن محبوب: أين كنت؟ وما أخرجك عن الناس؟ فقلت: وقع في ثوبي دم، فذهبت أغسله فاستتابني" (السالمي، ج 1، 1997م، ص 160).

وهو الموقف الذي يظهر الحرص الشديد سواءً لأبي المؤثر، أو لشيخه محمد بن محبوب على معالجته بما يتناسب مع الأحكام الشرعية، ويحمل دلالةً واضحةً على الجدية التي كان يتصف بها العلماء، وعلى عدم استهانتهم بالكثير من الجوانب والأحكام الفقهية التي تقتضيها مثل هذه المواقف وفي درء بطلانها.

1 – الخلفاء العباسيين هم المتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز، والمهتدي، والمعتضد.

https://doi.org/10.20428/jss.v31i3.3498

وكان من أهم الأحداث الكبيرة التي وقعت في عهد الإمام الصلت، والتي عايشها أبو المؤثر هي حادثة سقطرى، عندما اعتدى نصارى الحبشة عليها ونقضوا ما بينهم وما بين العُمانيين من عهد، وقتلوا والي الإمام، وقاموا بأعمال سلبٍ ونهب، فجمع الإمام جيشًا من ثلاثة آلاف جندي، وجهَّز المراكب التي بلغت أكثر من (100) مركب، وولَّى عليهم محمد بن عشيرة، وسعيد بن شملال، فساروا إليهم وتمكَّنوا من الانتصار عليهم (السالمي، ج 1، 1997م، ص 164- 166)، وبما أنَّ الإمام الصلت عُرف عنه تقريبه للعلماء واستشارتهم؛ فلا نستبعد أن يكون أبو المؤثر من العلماء والقيادات التي جرى التشاور معها في كيفية التعامل مع هذا الحدث الذي أضرَّ بالسيادة العُمانية وبنفوذها في تلك المرحلة.

غير أنَّ أكثر الأحداث تأثيرًا بالنسبة لأبي المؤثر هي حادثة عزل الصلت بن مالك عن الإمامة، واستنكاره الكبير لخروج موسى بن موسى، وراشد بن النظر على الإمام الصلت، وذلك عندما عارض موسى الذي تولَّى زعامة العلماء بعد وفاة محمد بن محبوب سنة 260هـ/873م الإمام الصلت، وتوجَّه إلى نزوى بهدف عزل الإمام، لتمثل هذه الحادثة بداية ظهور هذا الزعيم الديني على مسرح الأحداث، وفي اعتباره المحرك الأول، وأكثر المحرضين والمطالبين بعزل الصلت، مستغلاً مكانته الدينية والاجتماعية في ذلك (إمبوسعيدي، 1995م، ص 307؛ الريامي، 2015م، ص 72)، والتي ساندته فيها مجموعةٌ من القيادات والزعامات، من أبرزهم فهم بن وارث الكلبي، هذا الأخير الذي اتخذ أبو المؤثر موقفًا متشددًا تجاهه، واعتبره محرِّك الفتنة ومثيرها، وغاية البغي في الخروج على الإمام الصلت ونكث بيعته ومخالفته، وملصقًا به صفات عدم الأمانة والرشد (الخروصي، 1996م، ص 11 و ص 13). بالإضافة إلى غيره ممن اجتمعوا في بلدة فرق بنزوى برئاسة موسى بن موسى واتخذوا قرارهم التاريخي بعزل الإمام الصلت (أبو قحطان، 1986م، ص 127).

ومع جهود التهدئة وتقريب وجهات النظر ومحاولات ثني موسى وأتباعه من الإقدام على هذه الخطوة، إلا أنَّهم أصرُّوا على موقفهم، وكتبوا للصلت بما عزموا عليه، وطالبوه بالاعتزال (الخروصي، 1996م، ص 11؛ السالمي، ج 1، 1997م، ص 193)، مبررين ذلك بكبر سِنِّه، وضعف سمعه وبصره، وعدم قدرته على القيام بمهامه إلا بمساعدة الآخرين، وبأنَّ كثير من ولاته لم يعودوا يرجعون إليه في العديد من القضايا؛ ظنًّا منهم بأنَّه لم يُعد باستطاعته أن يبتَّ في أمورٍ كثيرةٍ للأسباب المذكورة، ولهذا خافوا على انهيار الإمامة، مع عدم وجود مؤشراتٍ حقيقيةٍ بأنَّ الإمام الصلت فقد أيًّا من قواه العقلية وقدراته ومؤهلاته (مايلز، 2016م، ص 74؛ ولكنسون، 2010م، ص 245). وهو ما يصبُّ في صالح المقارنة التي جاء بها أبو المؤثر، والتي تعبِّر عن رأيه في أسباب تصدع الأمة والإمامة، عندما قارن بين الوضع الذي كانت تعيشه عُمان سابقًا من حيث وجود قياداتٍ وشخصياتٍ تتحلَّى بالحكمة، جعلهم الله للناس أئمةً قادرين على التفريق بين الحق والباطل، حريصين على إعلاء راية الحق وعدم كتمه، ليس بينهم تفرق ولا اختلاف (الخروصي، 1996م، ص 2)، إلى أن انتهى الحال بوجود أناسٍ أولوا الأمور الدنيوية جُل اهتمامهم، ووصفهم بافتقادهم إلى الفهم والمعرفة،

وبحبهم أن تشيع الفاحشة، في ظاهرهم يتجلّى حب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دون أن يكون لهم دراية حقيقية بالمعروف والمنكر (الخروصي، 1996م، ص 8).

تعامل الإمام الصلت مع الموقف بهدوءٍ بعيداً عن التصعيد رغبةً منه في حقن الدماء(أبو قحطان، 1986م، ص 127؛ ولكنسون، 2010م، ص 44)، وهو الأمر الذي يحسب له، وينم عن وعي واستشعارٍ للمسؤولية، فطلب منهم مهلةً لذلك، ثم خرج من بيت الإمامة إلى بيت ابنه شاذان (أبو قحطان، 1986م، ص 127)، وكان ذلك يوم الخميس الثالث من ذي الحجة سنة 273هـ/ 30 أبريل 887م (السالمي، ج 1، 1997م، ص 213)، وأرسل إلى المجتمعين في فرق يخبرهم باعتزاله، وكان هذا الاعتزال شاهراً ظاهراً، وليقبل بذلك الإمام- مكرهاً- التنحّي عن منصبه، مع أنَّه أسرّ في رسالةٍ موجهةٍ إلى أصحابه العلماء أنَّ انسحابه من الإمامة ليس تخلياً عنها، أي إنَّه لم يعد نفسه معزولاً عن منصبه، بل ذهب إلى اتهام موسى بن موسى بالطمع في بيت المال (غباش، 1997م، ص 44)، ولكن في النهاية تحقَّق ما سعت إليه المعارضة.

وبعيداً عن المقارنة بين الروايات المرتبطة بأسباب عزل الإمام الصلت وحقيقته، فإنَّ هذه الحادثة تعدُّ أكثر الحوادث التي استنكرها أبو المؤثر بشدةٍ في حياته، حيث كان أبرز العلماء المعارضين لذلك، وشاهد عيان عليها، وهو ما عُدَّ سبباً لتأليفه كتابه الشهير (الأحداث والصفات)، بهدف الدفاع عن الإمام الصلت والرد على المعارضين له، والذي أورد فيه كثيرٌ من الحجج ضد ما قاموا به، والذي يمكن اعتباره وثيقةً تاريخيةً مهمةً تضمَّنت أخبار عُمان وأحداثها في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وأصبح من المصادر التي يعتمد عليها في تناول تاريخ عُمان في ذلك القرن، واعتمد أبو المؤثر في الأدلة التي جاء بها في كتابه في معرض الحجج والبراهين التي تطرَّق إليها، على القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، وسيرة الصحابة من أهل الحق والاستقامة من أيام فتنة عثمان إلى عهده (البوسعيدي، 2020م، ص 39).

وعودةً للأحداث، فقد اعتقد أبو المؤثر مثله مثل الكثيرين بأنَّ موسى بن موسى بعد خروج الإمام الصلت من مقر الإمامة سيجتمع بهم لاستشارتهم في الأمر، ولتبيان حقيقة ما حدث، وبالأسباب التي دعت إلى إقدامه على مطالبة الصلت بالاعتزال وتقديم التفسيرات حولها، ولكن ذلك لم يحدث، وإنَّما سارع مباشرةً إلى مبايعة راشد بن النظر بالإمامة (الخروصي، 1996م، ص 14)، - والذي لم يكن بالشخصية الإباضية المعروفة قبل توليه الإمامة - وهو ما يعني أنَّ التيار المطالب بعزل الإمام الصلت كان في وضع أقوى من أبي المؤثر ومن العلماء المؤيدين لاستمرار إمامته، وبأنَّ أبا المؤثر لم يكن يملك من الخيارات ما يساعده في اتخاذ موقفٍ عملي أكثر صلابةً وتأثيراً، فبدا موقفه بالتالي ضعيفاً مع ضعف الإمام مقابل قوة المعارضة، وليميل ميزان القوى باتجاه المعارضة التي حظيت بدعمٍ كبيرٍ من قبل العديد من الزعماء والشخصيات النافذة (الرياحي، 2015م، ص 114).

ومع أنَّ حادثة عزل الإمام الصلت لم تكن الأولى في تاريخ الإمامة في عُمان، فقد سبقتها حادثة عزل أول أئمة الإمامة الثانية، وهو محمد بن أبي عفان سنة 179هـ/ 795م – مثل ما مر بنا – إلا أنَّه لا يمكن المقارنة

https://doi.org/10.20428/jss.v31i3.3498

بين أسباب الحادثتين وظروفهما، فمحمد بن أبي عفان حكم لمدةٍ قصيرة، وجرى عزله لأسبابٍ مشروعةٍ تتعلق بسلوكياته وتصرفاته التي خرج بها عن مبادئ الفكر الإباضي، كادت أن تنزلق بالبلاد نحو صراعاتٍ دموية، وهو الذي لا ينطبق على حادثة عزل الإمام الصلت، مع أنَّ التأثيرات والنتائج التي ترتَّبت عليها كانت أخطر من تأثيرات سابقتها.

أحدث عزل الصلت بن مالك انقساماً فكرياً كبيراً داخل الحركة الإباضية، استمر تأثيره لمُددٍ لاحقةٍ عندما انقسم العلماء بين ما بات يُعرف في التاريخ العُماني بـ (المدرستين الرستاقية والنزوانية)، حيث وقف فريقٌ إلى جانب الإمام الصلت، واعتبروا أنَّ موسى بن موسى، وراشد بن النظر بغاة؛ لأنَّ الإمام الصلت قد صحَّت بيعته، ولم يصدُر منه ما يستحق العزل، ومن أشهر زعماء هذا الفريق أبو المؤثر الصلت بن خميس، وأبو محمد بن بركة السليمي، وأبو الحسن البسياني، وعُرفت فرقتهم بالرستاقية، وفي المقابل وجد فريقٌ آخر ضمَّ أبا عبدالله محمد بن روح بن عربي الكندي، وأبا سعيد الكدمي، وعُرفت فرقتهم بالنزوانية، بينما وجد فريقٌ ثالثٌ كان أشبه بالمحايد تجاه ما قام به كلٌّ من موسى بن موسى، وراشد بن النظر (الخروصي، 1996م، مقدمة الكتاب، ص: ج – خ). مع الأخذ في الاعتبار بأنَّ التسمية لم يكن لها علاقة بانتماء العلماء إلى مدينتي الرستاق ونزوى، أكثر مما هو تبنٍ لأفكار طائفة معينة، بغض النظر عن الانتماء الجغرافي لكلٍّ منهم، حيث سعت المدرسة النزوانية التي وُصفت بالإصلاحية إلى العمل على إعادة تقييم القضايا التي تسبَّبت في التصدُّع والانهيار في دولة الإمامة، عند نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، بينما عملت المدرسة الرستاقية التي عُرفت بمنهجها المحافظ على تثبيت شرعية قبائل اليحمد، عبر إعلان البراءة ممن شارك في خلع الإمام الصلت بن مالك (السالمي، 2002م، ص 35).

ومع أنَّ أبا المؤثر لم يستطع بمواقفه وآرائه منع وقوع هذا الحدث، إلا أنَّها بيَّنت بُعد بصيرته، وأثبتت المُدد اللاحقة تأثيرات تخوُّفه من تداعيات هذه الحادثة على وضع عُمان الداخلي، حيث مثَّل هذا الانقسام الفكري واحدةً من أصعب مُدد التاريخ العُماني، ومن أكثرها غموضاً وتعقيداً؛ نتيجة تأثيره في الفتنة الداخلية والحروب الأهلية التي عاشتها عُمان، ويمكن القول إنَّه مع ما تحقَّق لعُمان في عصر الإمامة الثانية من إنجازاتٍ في مختلف المجالات، سواءً على الصعيد الداخلي أو حتى الخارجي، غير إنَّه بات يوجد شبه إجماعٍ بأنَّ ما ترتَّب على حادثة عزل الإمام الصلت غطَّى على كثيرٍ مما حقَّقه أئمة هذه الإمامة، وما قاموا به من أفعالٍ مجيدةٍ لصالح عُمان ولصالح رعيتهم، فالآثار التي ترتَّبت على تغيير النظام الحاكم لم تأتِ لصالح عُمان، وفي الوقت الذي كان يفترض فيه أن تزداد مؤسسة الحكم قوةً حسب اعتقاد مَن قام بذلك، غير أنَّ ذلك انقلب بنحوٍ أسوأ على عُمان وأهلها، فظهرت الدسائس، واشتدت الفتن، وكثر القتل، واضطربت الأوضاع، وتدهورت الأمور، وانجرَّت البلاد إلى مستنقع كلفها كثيراً على الصعيدين: البشري والمادي، في الوقت الذي كانت مثل هذه القرارات بحاجةٍ إلى مزيدٍ من التأني، وإلى رؤيةٍ وبُعد نظر، وإلى تغليب المصلحة الوطنية فيها.

وبعيداً عن حادثة عزل الإمام الصلت، فإنَّ من الأحداث الأخرى التي شهدها عهد الإمام الصلت، والتي تأثر بها أبو المؤثر بشدة، وفاة شيخه محمد بن محبوب علاَّمة مدينة صحار وقاضيها، في نهار الجمعة في الثالث من محرم سنة 260هـ/ 28 أكتوبر 873م (السالمي، ج 1، 1997م، ص 164)، كونه كان من المؤثرين في مسيرته، وفي صقل شخصيته بأبعادها الدينية والعلمية والفكرية المختلفة.

ثالثًا: عهد الإمام راشد بن النظر (273– 277هـ /887- 890م)

بويع راشد بن النظر اليحمدي بالإمامة في اليوم الذي خرج فيه الإمام الصلت من دار الإمامة بنزوى، حيث أخذ إلى نزوى فأنزلوه دار الإمامة، فنصِّب إماماً، وبعث إليه الصلت بخاتم الإمامة ومفاتيح الخزانة، وثبَّت الولاة الذين عيَّنهم الصلت في أماكنهم، واتخذ من موسى بن موسى قاضيًا له، الأمر الذي استنكره أبو المؤثر أيضًا، ورأى بأنَّ هذا الأخير استغلَّ الوضع بقبوله هذا التعيين، وأثبت على نفسه عدم زهده وطمعه في المناصب الدنيوية (الخروصي، 1996م، ص 25). أمَّا الإمام الصلت فقد توفي ليلة الجمعة الخامس عشر من ذي القعدة سنة 275هـ/ 20 مارس 889م (الإزكوي، ج 3، 2013م، ص 127)، أي بعد سنتين من عزله.

ولأنَّ أبا المؤثر كان في مقدمة من أنكر حادثة عزل الإمام الصلت، فقد شكَّك في بيعة راشد بن النظر، التي رأى بأنَّها جرت دون استشارة العلماء المؤهلين في ذلك، وبحضور مَن أرادوا له هذه البيعة فقط، ووصف هذا الأمر بقوله:" فبايعوا راشداً في غير موضعه، وعقدوا له في غير موضعٍ عقد الإمامة، والله أعلم كيف كانت بيعتهم، أأحسنوا عقدها أم لا؟" (الخروصي، 1996م، ص 14- 15).

ترتَّب على وجود كثيرٍ من العلماء الرافضين لعزل الصلت ومبايعة راشد، وما وقع من خلاف حول ذلك، وقوع فتنةٍ عظيمةٍ في عُمان، أسفرت عن حروبٍ ومعاركَ أهليةٍ فيها، كان أبرزها معركة (الروضة) ببلدة تنوف في نزوى (أبو قحطان، 1986م، ص 135) والتي يجهل تاريخها، عندما أرسل الإمام راشد جيشًا لمواجهة المعارضين لإمامته، فهجموا عليهم ليلًا، فوقعت بينهم وقعة شديدة، قتل فيها رجالٌ كثيرون من أهل الورع والتقوى والعفاف من اليحمد، والعتيك، وبني مالك بن فهم ومن معهم (العوتبي، ج 2، 2016م، ص 706).

وكان أبو المؤثر من أبرز العلماء الذين استنكروا ما أقدم عليه الإمام راشد، ورفضوا تصرفه بقوة، ووصفوه بالجهل، ساندة في ذلك مجموعة من العلماء ممن تمسَّكوا بإمامة الصلت (السالمي، ج 1، 1997م، ص 213)، وهو ما يؤكد المكانة التي كان عليها أبو المؤثر، الذي يقول في كتابه الأحداث والصفات: "وأخطأ راشد السنة، وجهل العدل، وكفى بهذه من أحداثه، ولم يجعل ضرب السيوف كرمية وقعت في داره" (الخروصي، 1996م، ص 37)، وهو ما نرى بأنَّه كان محقًا فيما ذهب إليه من موقفٍ ورأي، وذلك لما سيترتب عليه من نتائجَ لم تكن في صالح وحدة المجتمع العُماني.

أسهمت معركة (الروضة) التي تعدُّ من الأحداث المهمة التي عايشها أبو المؤثر، في تعميق الانقسام القبلي، وأصبح تأثيرها حرجًا على وضع الإمام راشد بن النظر، أدَّت في النهاية إلى عزله، بعد أن أمضى في الإمامة

https://doi.org/10.20428/jss.v31i3.3498

أربع سنين وثمانية وخمسين يوماً (العوتبي، ج 2، 2016م، ص 715). ليلقى نفس مصير الصلت بن مالك، ولتؤكد هذه الحادثة ما ذكر سابقًا بأنَّ عزل الأئمة أصبح ظاهرةً واضحةً ارتبطت بتقلبات الظروف وأحوال الأوضاع في كل مرة.

رابعًا: عهد الإمام عزان بن تميم الخروصي (277– 280هـ/ 890- 893م):

في ضوء ما أسفرت عنه تطورات الأوضاع الداخلية في عُمان، فقد جرى اختيار قيادةٍ جديدةٍ بمبايعة عزان بن تميم الخروصي، وذلك يوم الثلاثاء الثالث من صفر عام 277هـ/ 26 مايو 890م (ابن رزيق، 2016م، ص 70)، حيث اشترك أبو المؤثر في عملية انتخابه إلى جانب مجموعةٍ من كبار العلماء (الإزكوي، ج 3، 2013م، ص 128)، وهو ما يؤكد حضور أبي المؤثر في هذه المناسبات المهمة، مستندًا إلى ثقله العلمي والقبلي في ذلك.

ولكن يبدو أنَّ أبا المؤثر لن يستمر في موقفه الايجابي من الإمام عزان، فقد نسب إليه أنَّه تبرأ من إمامته، حسب ما جاء به أبو قحطان في سيرته:" كان أبو المؤثر الصلت بن خميس يقول: إنَّ بيعة عزان كانت صحيحة، ثم لم تحمد سيرته حتى قتل، قال وقولنا فيه قول المسلمين" (أبو قحطان، 1986م، ص 137)، وهو ما يشير إلى قيام الإمام عزان بتصرفاتٍ سلبيةٍ أدَّت بأبي المؤثر إلى تغيير موقفه منه، ونرجح أن يكون ذلك بعد أحداث مدينة إزكي التي سنأتي عليها.

اتخذ الإمام عزان من موسى بن موسى قاضيًا له، ولكن بعد مرور عامٍ واحدٍ بدأت المشكلات تظهر بينهما، نتيجة شعور عزان بالاستياء من تدخلات موسى في صلاحياته، ومحاولة تقليص سلطته ونفوذه، مما ترتب عليه قيام الإمام عزان بعزل موسى (أبو قحطان، 1986م، ص 138؛ مايلز، 2016م، ص 76)، وهو إجراء ضاعف من حِدَّة الانقسامات الداخلية ووقوع ضغائن بين النزارية واليمانية، أدَّت في النهاية إلى مقتل موسى بن موسى في مسقط رأسه مدينة إزكي، وذلك يوم الأحد 29 شعبان 278هـ/ 5 ديسمبر 891م (الإزكوي، ج 3، 2013م، ص 128- 129)، لتضاعف بذلك معركة (إزكي) التي شهدت أحداثًا داميةً لا يقبلها أحد، من حِدَّة الخلاف بين النزارية واليمانية، وهو ما يُفهم من النص الذي أورده المؤرخ الإزكوي في (كشف الغمة) واتفق معه المؤرخون العُمانيون في وصف هذه الواقعة: "فسار إلى إزكي (يقصد الإمام عزان) فدخل هو وجمعه حجرة النزار، فجعلوا يقتلون مَن فيها، ويأسرون ويسلبون وينهبون، وأضرموا فيها النيران، فأحرقوا فيها أناسًا أخيارًا. وقتل موسى بن موسى مع حصيات الردة التي عند مسجد الحجر من محلة الجنور وفعلوا بأهل إزكي مالم يفعله أحد من قبلهم من الجور" (الإزكوي، ج 3، 2013م، ص 128).

أثار عزان بتصرفاته هذه كثير من الشكوك حول مشروعية ما أقدم عليه، وبدت عليه دوافع الانتقام بعد ما ارتكبه جيشه من إسراف في القتل ومن أعمال النهب والسلب والحرق، بل ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك عندما قام بمكافأة مَن قام بذلك وآواهم بدلاً من معاقبتهم، وعليه استنكر كثيرٌ من العلماء هذه الأفعال

بشدةٍ واضحة، وفي مقدمتهم أبو المؤثر (أبو قحطان، 1986م، ص 138؛ الريامي، 2015م، ص 146)، وهي استنكاراتٌ أثَّرت بالطبع على وضع الإمام عزان وعلاقته بالقوى القبلية.

وعندما نقف على الأوصاف التي عُبِّر عبرها عن الأحداث، فإننا يبدو لنا في بداية الأمر وجود نوع من المبالغة والتضخيم في وصف أحداثها وخسائرها، ولكن اتفاق المصادر العُمانية على سرد الحقائق الخاصة بهذا الموضوع، وتشابهها فيما أوردت من معلومات؛ يجعل الفرد في حالةٍ من الذهول: كيف أنَّ مصالح الحكم والسياسة يمكن أن تسقط كل القيم الإنسانية، وتؤدي إلى كل هذه الوحشية التي لا مبرر لها. نعم نعترف بأنَّ الحروب لابد أن يصاحبها خسائر في الأرواح وفي المال، وأعمالٌ سلبية وأفعالٌ وحشيةٌ لا حصر لها، ولكن يفترض بأن يكون ذلك عادة في الحروب التي تقع بين أعداءٍ مختلفين في الدين متفرقين في الدم، وليس بين أبناء الوطن الواحد.

أظهرت معركة (إزكي) بأنَّ مستقبل الإمامة أصبح معلقًا بطموحات زعماء القبائل وقياداتها (العقيلي، 1984م، ص 38)، فقد ترتَّب على مقتل موسى بن موسى أن ثار النزارية بقيادة الفضل بن الحواري ضد عزان، مطالبين بدم موسى، ليدخلوا في معركة ضد الإمام في موقعة (القاع) بصحار يوم الإثنين السادس والعشرين من شوال سنة 278هـ/ 30 يناير 891م، فانهزموا فيها (العوتبي، ج 2، 2016م، ص 716- 717)، وهي المعركة التي ترتَّب عليها، على صعيد الزعامة الفقهية للحركة الإباضية، أن تبرأ أبو المؤثر من محمد بن جعفر الإزكوي وابنه الأزهر، وصل إلى حد أنَّ كل طرفٍ أحلَّ دم الآخر (الخروصي، 1996م، مقدمة الكتاب، ص: س). الأمر الذي يعني استمرار الانقسام بين القيادات العلمية والسياسية بين الحين والآخر، وتأثيره الحاد على مجمل الأوضاع في الجبهة الداخلية في عُمان التي لم تكن تحتمل تصدعًا أكثر مما هي عليه في ظل تلك الظروف، حتى يمكن اعتبار أنَّ من النتائج المباشرة لموقعة القاع بين اليمانية والنزارية: هي سقوط الإمامة الإباضية الثانية باعتبارها كيانًا سياسيًّا في عُمان، فاق عدد سنوات حكمها قرنًا من الزمان، حيث مهَّدت هذه الانقسامات والشقاقات الطريق نحو تحرك أعداء الإباضية في داخل عُمان وخارجها (فوزي، 2008م، ص 100- 101).

وإذ لم يستسغ النزارية ما حلَّ بهم في موقعة (القاع)، سعوا نحو طلب مساعدة الدولة العباسية للتدخل ضد الإمام عزان وحلفائه اليمانية، فخرج اثنان من أبرز قادتهم إلى البحرين، وهما: محمد بن القاسم، وبشير بن المنذر من بني سامة فالتقيا بواليها محمد بن نور، الذي طلب منهما ضمان موافقة الخليفة العباسي المعتضد، ليتوجه محمد بن القاسم إلى بغداد للحصول على موافقة الخليفة، الذي أمر واليه محمد بن نور بالتحرك نحو عُمان، التي جاء إليها فعاث فيها فسادًا وأكثر فيها قتلاً (العوتبي، ج 2، ص 718)، وقتل الإمام عزان في معركة (سمد الشأن) بشرقية عُمان في مواجهته لابن نور وقواته، وذلك يوم الأربعاء 25 صفر سنة 280هـ/ 15 مايو 893م (ابن رزيق، 2016م، ص 73)، ولتنتهي بوفاته الإمامة الثانية في عُمان، وخضوعها مرةً أخرى للدولة العباسية، والتي يمكن تلخيص عوامل سقوطها إضافةً إلى التدخلات الخارجية التي سهل أمرها الانقسامات التي عصفت بأتباع الإمامة، الضعف الذي بدأ ملاحظًا في تنظيم الحركة في مراحل لاحقةٍ

https://doi.org/10.20428/jss.v31i3.3498

مقارنةً بالقوة التي كانت عليها في مرحلة النشأة والتكوين، وذلك لظهور جيلٍ جديدٍ تميَّز بضعف الدافع العقائدي لدى كثيرٍ منهم، وافتقادهم إلى الضبط والحماس اللذين كان عليهما جيل المؤسسين الذي تحملوا عبء الدعوة السرية وبناء دولة الإمامة وتأسيسها، زيادةً على ما خلفته العصبية القبلية من تأثيرات ونتائج سلبية، إضافةً إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية (إمبوسعيدي، 1995م، ص 349- 351)، وأغلبها مما حذر منها أبو المؤثر.

شهد تاريخ عُمان كثيرًا من التدخلات الخارجية بناءً على طلب من أهلها، التي أظهرت حجم القتل والخراب والأفعال المشينة التي قامت بها القوى الخارجية في عُمان، والتي تنم أيضًا عن حجم الخلافات بين القيادات المختلفة التي تستدعي الاستعانة بالقوى الخارجية مهما كلَّف الثمن، ودلَّت على أنَّ بعضهم فضَّل التضحية بالوطن مقابل السلطة والنفوذ، وفي الموقف الذي قام به محمد بن القاسم والبشير بن المنذر، مثال واضح على ذلك، وأرى بأنَّ ما جاء به مايلز في كتابه (الخليج بلدانه وقبائله)، يعبِّر بدقةٍ عما آلت إليه أوضاع عُمان في تلك المدة عندما كتب:

"وهكذا انفجرت العاصفة في عُمان، وأطبقت عليها الغيوم السوداء التي أخذت تهدد البلاد بالطوفان، وقدَّر لشعب عُمان أن يواجه تلك المأساة القومية... لقد احتفظت عُمان بكامل استقلالها لمدة امتدت (163) سنة...غير أنَّ الخلافات الداخلية عرضتها لكارثةٍ أقسى وأكبر وأشد هولاً" (مايلز، 2016م، ص 83).

الخاتمة

في ضوء تساؤلات الدراسة، والفرضيات التي وُضعت للإجابة عنها، ومما جرى استعراضه، فقد خلصت هذه الورقة إلى النتائج الآتية:

- إنَّ حكم الإمامة الإباضية الثانية في عُمان يُعدُّ من أهم المراحل في تاريخها، وذلك لكمية الأحداث التي شهدتها البلاد في تلك الفترة، والتي اصطبغ الكثيرٌ منها بالإنجازات، بينما انطوى العديد منها على درجةٍ عاليةٍ من الخطورة، وضعت استقرار الأوضاع الداخلية على المحك، ونالت من الوحدة الوطنية للبلاد، وعزَّزت الانقسام الداخلي فيها والذي تطوَّر إلى حدِّ الاستعانة بالقوى الخارجية.
- اعتبار مواقف العلماء وآرائهم المحرك الأساسي في تطوُّر الأحداث في عُمان في تلك المدة، سواءً برفع وتيرتها وتسارعها أو بالعمل على تخفيضها، والسعي نحو تهدئة الأمور وتغليب المصلحة الوطنية.
- ممارسة أبي المؤثر خميس بن الصلت الخروصي دورًا مؤثرًا في تاريخ عُمان في عصر الإمامة الإباضية الثانية، عن طريق آرائه ومواقفه المختلفة، خاصةً السياسية منها، حتى وإن لم تؤدِ بعض المواقف إلى

تغيير الواقع على الأرض، ولكن أظهرت الأحداث اللاحقة بُعد نظره وصواب رأيه تجاه ما وقع من تطورات في الشأن المحلي العُماني.

- إنَّ الإعاقة البصرية لأبي المؤثر لم تكن عائقًا له ولإمكانياته العلمية وأدواره السياسية في مجريات الأحداث التي شهدتها الإمامة الثانية، فكان من العلماء المشهود لهم بغزارة العلم وبقول الحق في أصعب الظروف، وهي من الأمور التي يمكن الاستفادة منها في الحياة في كل وقتٍ وحين، بأنَّ ما قد يُبتلى به الإنسان من قصورٍ جسدي وإعاقةٍ في بعض أجزائه لا يعني الحيلولة بينه وبين طرق النجاح.
- إنَّ حادثة عزل الإمام الصلت بن مالك تعدُّ من أكثر القضايا إثارة للجدل في التاريخ العُماني ككل، ومن أكثرها استحواذًا على اهتمام أبي المؤثر، والتي أدَّت إلى تقاطع العلماء فيها بآرائهم المختلفة وبانتماءاتهم القبلية والسياسية، وكشفت عن أنَّ عُمان حتى وإن لم تشهد أية حروبٍ مذهبية في تاريخها، غير أنَّ الانتماءات القبلية والمصالح السياسية والاجتماعية التي ترتَّبت عليها في مقدمة الأسباب التي أدَّت إلى وقوع العديد من الفتن والحروب الأهلية والتدخلات الخارجية في التاريخ العُماني، أسهمت مباشرةً في سقوط دولة الإمامة الثانية في عُمان.

https://doi.org/10.20428/jss.v31i3.3498

الملاحق

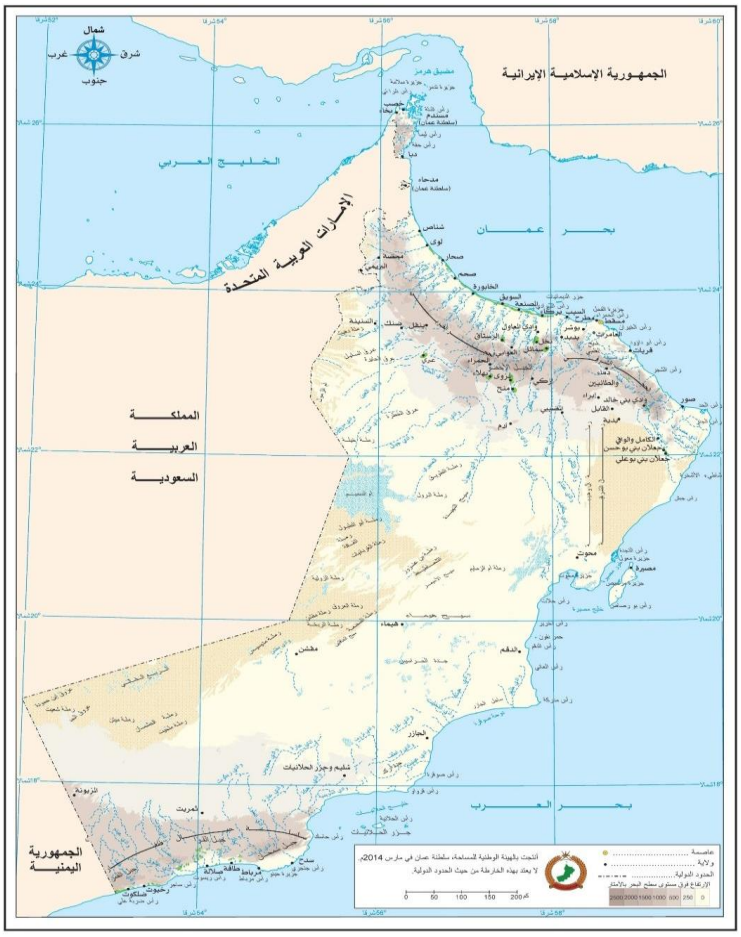

ملحق رقم (1) : خريطة سلطنة عُمان توضح المدن الرئيسة فيها

- **ملحق رقم (2): أئمة الإمامة الإباضية الثانية (177- 280هـ/ 793- 893م)**

م	اسم الإمام	فترة الحكم	
		من	إلى
1	محمد بن عبد الله بن أبي عفان	177هـ/ 793م	179ه/ 795م
2	الوارث بن كعب الخروصي	179هـ/ 795م	192ه/ 208م
3	غسان بن عبد الله اليحمدي	192ه/ 808م	207/ 823 م
4	عبد الملك بن حميد العلوي	207ه/ 823م	226ه/ 841م
5	المهنا بن جيفر اليحمدي	226ه/ 841م	237ه/ 851م
6	الصلت بن مالك الخروصي	237ه/ 851م	272ه/885م
7	راشد بن النظر اليحمدي	273ه/ 887م	277ه/ 890م
8	عزان بن تميم الخروصي	277ه/ 890م	280ه/ 893م

قائمة المصادر والمراجع:

ابن رزيق، حميد. (2016م)، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عُمان. ط 3، وزارة التراث والثقافة، مسقط.

أبو قحطان، خالد بن قحطان (1986م)، سيرة أبي قحطان، السير والجوابات لعلماء وأئمة عُمان، ج 1، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط.

الإزكوي، سرحان (2013م)، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. ج 3. ط 2. وزارة التراث والثقافة. مسقط.

إمبوسعيدي، عبد الله (1995م)، "عُمان في عصر الإمامة الإباضية الثانية (177- 280هـ/ 793- 893م)"، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة اليرموك، الأردن.

البطاشي، سيف (2016م)، إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، ج 1. ط 3، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، مسقط.

البوسعيدي، يونس (2020م)، "أبو المؤثر في كتاب الأحداث والصفات"، مجلة الذاكرة: العدد 87؛ (34-41).

الخروصي، الصلت (1996م)، الأحداث والصفات، ط 1، وزارة التراث والثقافة، مسقط.

خليفات، عوض (2000م)، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، ط 4، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط.

الريامي، علي (2015م)، قضية عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي، ط1، بيت الغشام للنشر والترجمة، مسقط.

السالمي، عبد الرحمن (2002م)، "العلاقة بين الأئمة والعلماء وتطورات الدولة العُمانية حتى نهاية القرن 10هـ/ 16م قراءة في السير العُمانية"، مجلة نزوى: العدد 30؛ (29- 40.

السالمي، عبد الله (1997م)، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج 1، مكتبة الاستقامة، مسقط.

السعدي، فهد (2007م)، معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية (قسم المشرق) من القرن الأول الهجري إلى بداية القرن الخامس عشر الهجري، ط 1، مكتبة الجيل الواعد، مسقط.

السيابي، سالم (1384هـ)، إسعاف الأعيان في أنساب أهل عُمان، المكتب الإسلامي، بيروت.

السيابي، سالم (2001م)، عُمان عبر التاريخ، ج 2، ط 4، المطبعة الشرقية، مسقط.

العقيلي، محمد (1984م)، الإباضية في عُمان وعلاقاتها مع الدولة العباسية في عصرها الأول، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط.

العوتبي، سلمة (2016م)، الأنساب، ج 2، ط 5، وزارة التراث والثقافة، مسقط.

غباش، حسن (1997م)، عُمان الديموقراطية الإسلامية تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث (1500-1970)، ط 1، دار الجديد، بيروت.

https://doi.org/10.20428/jss.v31i3.3498

فوزي، فارق (2008م)، الموجز في تاريخ عُمان السياسي في القرون الإسلامية الأولى 1ه- 906هـ/ 622-1500م، ط 1، دار مجدلاوي، عمَّان.

الكدمي، أبو سعيد محمد (1985م)، الاستقامة، ج 1، وزارة التراث والثقافة، مسقط.

مايلز، س. ب (2016م)، الخليج بلدانه وقبائله، ط 6، وزارة التراث والثقافة، مسقط.

المنذري، محمد (2018م)، صلات عمان الخارجية وأبعادها السياسية والحضارية من صدر الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مكتبة مسقط، مسقط

الهاشمي، سعيد (2013م)، دراسات في التاريخ العُماني، ط 2، النادي الثقافي، مسقط.

ولكنسون، جون سي (2010م)، الإمامة في عُمان، ط 3، الأرشيف الوطني، أبو